الجمهورية اللبنانية

منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة

دار الكتب

خزائن الكتب العربية في الخافقين

بقلم

الفيكنت فيليب دي طرازي

مؤسس دار الكتب اللبنانية

والعضو في عدة مجامع علمية شرقية وغربية

المجلد الأول

خزائن الكتب العربية

في الخافقين

المجلد الأول

تمهيد

يقظة ابناء الضاد في النهضة العلمية الحديثة

تجلت منذ صدر القرن العشرين نهضة مباركة في عالم الادب العربي . فاستيقظ المفكرون الناطقون بالضاد في جميع البلدان واخذوا يتبارون في مضمار هذه النهضة الجديدة متذرعين بالوسائل الناجعة للوصول الى هدفهم المنشود.

وقد سالت قرائح حملة الاقلام فلم يهملوا موضوعاً من المواضيع العلمية الا عالجوه ولا باباً من الابحاث المهمة الا ولجوه . وراح فريق منهم ينقل الى اللسان العربي العلوم الحديثة والاختراعات المفيدة والاكتشافات المدهشة . فاضافوا الى ثروة اللغة العربية ثروة جديدة عظيمة اولتهم الثناء والفخار على ممر الاعصار.

وممن عزز هذه النهضة العربية الحديثة ملوك عظام وامراء همام اخذوا على عاتقهم قيادة الامة وترقيتها في معارج العلم والحضارة. فانشأ كل منهم في بلاده شتى المدارس والمطابع والنشرات الدورية والمجامع العلمية والبعثات المدرسية والمراصد الفلكية ودور الصناعات والآثار وخزائن الكتب الخ... ولم يُغفلوا في الوقت عينه عن تنشيط العلماء وتكريمهم والاحسان اليهم اسوة بمشاهير الخلفاء في سالف الازمان. وكان للافراد والجماعات الملية ايضاً يد طولى في تعزيز تلك النهضة بما انشأوه من مشاريع جليلة كالمشاريع المار ذكرها فاستفادوا وافادوا. وبهذه الوسيلة تسنى للغة العربية تمهيد السبيل لتجديد عصرها الذهبي والتطلع الى مستقبل باهر يعيد اليها مجدها الغابر.

الحاجة الى مؤلف شامل لاخبار المكتبات العربية

وتحقيق هذه الامنية

رأيت ان لا ابقى مكتوف اليدين ازاء هذه النهضة الشريفة التي رَفعَت مستوى ابناء الشرق وجعلتهم يتقدمون في مدارج العمران كسائر الشعوب الراقية. فلبلوغ الغاية المقصودة رسمتُ خطة منظمة لما انتويت تأليفه من الكتب او القيام به من المشاريع الادبية والعلمية. وتتلخص خطتي هذه باني تحريت الاعمال المفيدة وتحاشيت بحث المواضيع التي طرقها قبلي كتّاب عديدون ومحّصوها وانشأوا فيها تصانيف وافية. هكذا أتيح لي ان اخدم الامة العربية بعض خدم يسوغ ان تُعدُّ فريدة في بابها.

وبتوالي الايام اختمرت فيّ فكرة أحسبها مبتكرة وهي تأليف كتاب ينطوي على اخبار خزائن الكتب العربية في الخافقين قديماً وحديثاً. وقد اتضح لي بعد امعان الروية ان المراجع الدراسية هي في اشد الحاجة الى تاريخ يضم بين دفتيه كلّ ما يتعلق بهذا الموضوع الخطير. فانصرفت لتحقيق هذه الامنية الى مطالعة ما لا يحصى من شتى التصانيف لا في اللغة العربية وحدها بل في غيرها من اللغات.

يعتبر هذا السفر وحيداً من نوعه في المكتبة العربية

قد اثبتُ في هذا المؤلف اخباراً ووثائق معززة بحجج دامغة لم يتيسر لمؤرخ اثباتها قبل الآن. واضفت اليها ما ادخرته من المفكرات التي سبقت فدونتها خلال مطالعاتي الكثيرة منذ عشرات السنين. وفي ذلك كله بسطت الحق الصراح دون تهيب ولا وجل خدمة للعلم والتاريخ. ثم انتقدت ما رأيته مستحقاً الانتقاد ولئن ساء انتقادي بعض الذين تعودوا استماع عبارات التمليق وغمّضوا في كتاباتهم عن التحقيق والتدقيق.

يُعتبر هذا التاريخ من المؤلفات التي لا يُستغنى عنها في المكتبة العربية ولا سيما انه لم يتحرّ احد من المؤلفين ان يحث هذا الموضوع بحثاً مستقلا مستوفى. على ان جميع الذين تناولوه كتبوا عنه عرَضاً في سياق كتاباتهم عن حوادث مختلفة واخبار متفرقة. وخلاصة القول ان هذا المؤلف هو ثمرة درس ناضج مقرون باختبار واسع لا يقدرهما الا من عانى الاشتغال في التنقيب عن المراجع الدراسية. ولا يدركهما الا من تيقّن بذاته مصاعب الوصول الى اوثق المصادر التي تكشف النقاب عن الحقائق التاريخية التي لا تقبل الرد او الارتياب. ولا اخشى القول ان هذا المصنف الذي اتحف به ابناء الضاد اصبح حلقة ثمينة في سلسلة التآليف العربية. ولي الثقة إنه ينال استحساناً لدى من يقدر الجهود قدرها بين العلماء المدققين واعلام المفكرين.

ابواب الكتاب وخلاصة ابحاثه

يقع الكتاب برمته في ثلاثة مجلدات احتوت ثمانية عشر باباً نلخصها كما يلي :

ففي المجلد الاول اربعة ابواب اشتملت على مباحث متعددة عن علوم العرب في الجاهلية وصدر الاسلام، وعن الحالة الفكرية في المشرق قبل الفتح العربي، وعن ثقافة شعوب البلاد التي فتحها العرب، وعن نقل العلوم الدخيلة الى اللسان العربي ومشاهير نقلتها ، وعن عصر النهضة العربية الذهبي. وتحدثت فيها ايضاً عن تكوين المكتبات العربية وانتشارها في الامصار شرقاً وغرباً، ومقابلتها مع مكتبات البلدان الاجنبية. واوردت بعد ذلك اخبار المكتبات الاسلامية العامة ثم المكتبات الاسلامية الخاصة.

وتضمن المجلد الثاني ستة ابواب دوّنت فيها : اخبار المكتبات النصرانية والمكتبات العربية في اوروبا واميركا، والمكتبات الاسرائيلية، واخبار غلاة الكتب وهواة المكتبات.

واشتمل المجلد الثالث على ثمانية ابواب المعت فيها الى خزنة دور الكتب والى المخطوطات العربية والعاملين فيها من وراقين وخطاطين ونساخين ومجلدين مع طرف من غرائبهم ونوادرهم، والى تجارة الكتب واشهر اسواقها والى عباد المخطوطات وعشاقها وسراقها. يليها باب المخطوطات المصورة والمزوقة وباب رزايا الكتب والمكتبات وباب النوازل الادبية بالمكتبات والكتب الخ . الخ..

وختمت جميع ذلك بالباب الثامن عشر فخصصته بدار الكتب اللبنانية التي اتيح لي ان اقوم بتأسيسها تعزيزاً للعلم في بلادي المحبوبة. والامل بان جهودي تعود بالفائدة التي توخيتها من وضع هذا المؤلف، وعلى الله سبحانه اتكالي وبه ثقتي واعتصامي .